دور الإنفاق في سبيل الله في رفاهية المجتمع المعاصر في ضوء فقه السيرة

*آصف رضا

Abstract

Spending in the cause of Allh is one of the most important ways for the welfare of society and all the divine books agreed about its vital role in the betterment of human lives. But it is obvious from Quraan that not everyone has capacity for it but only those who are saved from stinginess: And whoever is protected from the stinginess of his soul - it is those who will be the successful. (Al-Hashr: 09) It is also very relevant question in this regard that what should be spent? And how and where should be spent? hence only that type of spending which is according to the need of time is worthy to be called as best use of it, as Prophet (Peace be upon Him) pointed out to the charity of water when Saad ibn e ubadah asked him about the best mean of charity after the death of his mother and people were in urgent need of water. So it is clear that the one who intended to charity must have the actual and original idea about the demand of those who are in crises and then he should decide to arrange the appropriate means in this regard. We found crystal clear indications in the seerat ur rasool (Peace be upon Him) about the appropriate spending in accordance with the demands of current time like the encouraging the release of slaves especially in the Makkah and the treaty of brotherhood among the immigrants and the ansaar and promoting the building of prophetic mosque and preparing the army for battles and promising the abode in paradise in response. This article deals with role of charity in welfare of current society by the proper means and ways, some of the important points are as follows:

1. Introduction.
2. Importance of Infaq in Quraan and Sunnah.
3. Examples of charity in accordance with the demands of society in light of seerah.
4. Charity endowments and its role in the well-being of society in the light of fiqh us seerah.
5. The needs of contemporary society and the role of Charity endowments.
6. Pre-protection from negativity, because prevention is better than cure.
7. Recommendations or proposals for proper expenditure.

إنّ الوصول إلى إصلاح الأمة على المستوى العام يحتاج إلى إصلاحات كثيرة على المستويات

*الأستاذ المساعد، قسم الدراسات الاسلامية واللغة العربية، الجامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد

الفردیة والمؤسسیة. ومن المؤسسات المهمة فی مجال الفلاح الاجتماعی هی الإنفاق فی سبیل الله أو العمل الخیری ولا یقوم به الا الذی بشّر بالفلاح الحقیقی من قِبل الله تعالی القائل: ومن یوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون (الحشر : 09) والآیات فی الإنفاق کثیرة معلومة ولکن المهمّ فی هذا المجال هو الإنفاق وفقاً للحاجات الاجتماعیة المعاصرة، وهذا النوع من الإنفاق یجدر أن یسمی بالانفاق الحسن والأفضل کما أشار الرسول صلی الله علیه وسلّم إلی صدقة الماء فی جواب سعد بن عبادة لمّا سأله عن أفضل الصدقة بعد وفاة أمّه، وکان الناس فی حاجة من الماء، فظهر منه أن المنفق لابد له أن یکون علی بصیرة نافذة عن حاجیات المجتمع المعاصر وخبرة بالغة من احتیاج المحاویج لیکون إنفاقه اکثر متعة للفقراء والبائسین وأتمّ نفعا للمساکین، کما هو نموذج للوقف الخیری فی أبواب البر. ولمّا ندرس سیرة الرسول الأعظم صلی الله تعالی علیه وسلّم دراسة عمیقة نجد أمامنا خطوة واضحة وأسوة حسنة فی مجال الإنفاق فی سبیل الله وآثاره البالغة علی المجتمع الإسلامی آنذاك، منها الحثّ علی إعتاق الرقائق خاصة فی المکة المکرمة فی بدایة الدعوة الإسلامیة وعقد المؤاخات بین المهاجرین والأنصار والترغیب فی تجهیز الجیوش الإسلامیة والتبشیر بدخول الجنة لمن قام به، وتحریض المسلمین علی مساعدة البائسین وعمارة المسجد النبوی الشریف وغیر ذلك.

وما أذکر فی هذه المقالة هو جزء من الإصلاح الاجتماعی الّذی نسعی إلیه وأرجو من الله سبحانه أن أکون قد وُفّقت للصواب فیه. وإلیك النکات المهمة لتلك المقالة:

ا. الکلمات التمهیدیة

ب. أهمیة الإنفاق فی سبیل الله فی ضوء القرآن والسنة

ج. النظائر والأمثلة للإنفاق وفقا لحاجات المجتمع من السیرة النبویة

د. الوقف الخیری ودوره فی رفاهیة المجتمع فی ضوء فقه السیرة

ه. حاجیات المجتمع المعاصر ودور الوقف الخیری فی معالجتها

و. الحمایة المسبّقة من السلبیات لأنّ الوقایة خیر من العلاج

ز. التوصیات والاقتراحات للإنفاق الصحیح

إن الإیمان لیس قضیة فلسفیة مجردة أو مجرد علاقة بین الفرد وربه بعیدا عن توجیه أنشطته ومما

رسته وعلاقاته اليومية، ففي الإيمان يتم ربط الفكر بالعمل والنية بالحركة والسلوك القويم ۔ وقد نفى الرسول ﷺ كمال الإيمان عن من يبيت شبعان وجاره جائع وهو يعلم "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم "[1] كما أنكر الله سبحنه وتعالىٰ حصر البرّ في صورة عادية ورسم معهود بل أبلغ معنى البرّ إلى أقصى حدود الخير وأشمله قائلاً:

"ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتب والنبيّين وآتى المال على حبّه ذوى القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب۔۔۔"[2]

وما اكتفى القرآن الكريم على حث الانفاق و ترغيب الإعطاء و تحريض البذل فقط بل عد الإمساك وعدم الإنفاق سبيلاً وطريقا للتهلكة بقوله تعالىٰ:

"وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين"[3]

كما عد الكنز وحجب المال عن وظيفته الاجتماعية مدعاة للعذاب الأليم وليس هذا فحسب بل رتب المسئولية التقصيرية على الإنسان الذى يعطل سبل الكسب و فرض العمل مهما ادعى الصلاح ۔ وجعل دخول النار في جس هرة عن طعامها بل و دخول الجنة في إعانة الحيوان الحقير لسد حاجيه، هكذا بخد عموم المسئولية عن الآخر تجاوزت عالم الانسان إلى عوالم المخلوقات الأخرٰى۔ فثبت منه أن الإسلام جعل الانفاق آلة لمساعدة الخلق عامة ولترفيه المجتمع البشرى خاصة وهو النكتة الأساسية في هذه المقالة الموجزة المتضمنة للمباحث الخمسة واختتمت هذا المقال المتواضع بالنتائج والتوصيات المقترحة ۔

المبحث الأول: أهمية الإنفاق في سبيل الله في ضوء القرآن والسنة ۔

المبحث الثاني: النظائر و الأمثلة للإنفاق وفقا لحاجات المجتمع من السيرة النبوية

المبحث الثالث: الوقف الخيرى ودوره في رفاهية المجتمع في ضوء فقه السيرة

المبحث الرابع: حاجات المجتمع المعاصر و دور الوقف الخيرى في معالجتها

النتائج والتوصيات المفترحة للإنفاق الصحيح

المبحث الأول:

أهمية الإنفاق في سبيل الله في ضوء القرآن الكريم ۔

القرآن الكريم هو مصدر الهداية لكافة الناس ويهدى الى الإيمان ويدل على مكارم الأخلاق

ومحاسن الأعمال منها الإنفاق فی سبیل الله ۔ حرض القرآن علی الإنفاق بطرق شتی و بأسالیب متنوعة فتارة یذکر القرآن جزاء الإنفاق بصورة مشوّقة ویعد بخلفه حتما وتارةً أخری یأتی بقصة مؤثرة تکشف الحجب النفسانیة عن جمال رد الإنفاق و جزاءه ویرغب القرّاء إلی بذل الأموال فی سبیل الله حتی عده من أنواع الجهاد۔ ولأ همیته وردہ فی القرآن الکریم مادة الأنفاق مصرحابه فی ثلاثة وسبعین موضعاً عبر سبع و خمسین آیة جاءت فی خمس و عشرین سورة ومن و جوه الإعجاز لکتاب الله الحکیم أن الکلمة وردت بصیغ الإسم فی خمسة مواضع وجاءت بصیغ الفعل فی ثمانیة وستین موضعا وماالحکمة فیه؟ وما فائدته؟ أشاء الیه الباحث عبدالله سلیمان فی رسالته العلمیة :

"ومن المؤکدأن لهذا دلالة خاصة ،فالتعبیر بالأسماء فیه صفة الملازمة دون التعبیر بالأفعال، ولعل فی هذا اشارة إلی أنه من الصعب بل قدیکون من المحال ملازمة صفة الإنفاق فی کل حین للإنسان فی حال یسره وعسره و کذلك ملازمتها للناس جمیعا إذأن أحوال الناس وقدرتهم علی الإنفاق تختلف و أما التعبیر بالأفعال ، حتی یتناسب مع حال الإنسان من حیث حالتی الیسر و والعسر و التنقل بینهما ،و کذلك أحوال الناس المختلفة"[4]

فثبت منه أن موضوع الإنفاق من أهم الموضوعات القرآنیة ویجدر الاهتمام البالغ من قبل الباحثین والمخصصین فی الدراسات القرأنیة ، نذکر ههنا فقط الجوانب الأربعة لتلك الأ یات المتعلقة بالإنفاق وهی:

۱۔ الأمر بالإنفاق

۲۔ فضائل الإنفاق

۳۔ الحث علی الإنفاق بضرب الأمثال

۴۔ الحث علی الإنفاق بذکر القصص

نکتفی بذکر المثال الواحد فقط لکل من هذه الأقسام مشیرا إلی ضرورته وحاجة المجتمع إلی الصور المختلفة له فی کل عصر و مصر ۔

۱۔الأمر بالإنفاق:

من أنواع الحث علی الإنفاق المتخدمة فی القرآن الکریم الأمر المباشر للإنفاق الذی ورد فی کثیر من الأ یات، منها:

"وأنفقوا فی سبیل الله ولا تلقوبأ یدیکم إلی التهلکة وأحسنوا إن الله یحب المحسنین"[5]

أخرج البخاری فی صحیحه عن عن حذیفة ؓ أنه قال عن هذه الآیة "نزلت فی النفقة"[6]

یعنی فی نفقة العیال والأقارب وأهل الحاجة من الفقراء والمساکین ۔ وذکر المفسرون فی شرح التهلکة أنها البخلا أو ترك النفقة فی سبیل الله مخافة العیلة أی الفقر[7] ۔یقول السید قطب فی تفسیر الآیة:

"والإ مساك عن الإنفاق فی سبیل الله تهلکة للنفس بالشیح وتهلکة للجماعة بالعجز والصنعف ونجاصة فی نظام یقوم علی التطوع کما کان یقوم الإسلام[8]"

فاتفق المفسرون قدیما وحدیثا أن الآیة تدل علی فضیلة الانفاق وضرورته للفرد والمجتمع وعدم الإنفاق فی وجوه الخیر و أبواب البرّو الصلة نوع من التهلکة الممنوعة المحرمة کما هو سبب الإهلاك والإضرار للفقراء وذوی الحاجة من أفراد المجتمع البشری مع غض النظر عن دیانتهم وجنسیتهم وبدون أی تمییز و فرق بینهم

فضائل الإنفاق:

من الأسالیب المؤثرة التی اعتمدها القرآن فی الحث علی الإنفاق أسلوب بیان فضائله وما یعودمن ثمرته علی الفاعل المنفق لأنه یزید ویضاعف عزیمة المنفق۔ والآیات االتی تضمنت هذا الجانب کثیرة ومتنوعة منها آیات بینت ان الانفاق یبارك فی الأصل ومنها تقرر أن الانفاق یعود بالخیر علی فاعله والبعض تبشر بأن أجره لایضیع ومنها:

"من ذاالذی یقرض الله قرضا حسناً فیضٰعفه له أضعافاً کثیرة[9]"

یکتب الشیخ ابن عجیبة فی تفسیر الآیة:

"یقول الحق جل جلاله: من هذا الذی یعامل الله تعالیٰ ویقرضه (قرضاً حسناً) بأن یتصدق علی عباده حسنة بنیة خالصة، فیکثرها الله تعالیٰ له (أضعافا کثیرة) بسبعمائة إلی مالا نهایة له، ولا یحمله خوف الفقر علی ترك الصدقة ، فإن الله تعالیٰ یقبض الرزق عمن یشاء ولوقل إعطاؤه، ویبسط الرزق علی من یشاء ولو کثر إعطاؤه بل یقبض علی من قبض یده شحا و بخلا ویبسط علی من بسط یده عطاء وبذلا ۔۔۔ ونسبة القرض إلیه تعالیٰ ترغیب و تقریب للإفهام"[10]

فظهر محاسبق أن الإنفاق فی سبیل الله له مزیة خاصة عندالله حتی قرضاً وبشر المقرض بإضعاف القرض إلی مالا نهایة له وأخبر أن کنوز الرزق بأجعها بید الله تعالیٰ و قبضته والإنفاق لا ینقص المال۔

الحث علی الإنفاق بضرب الأمثال:

من أساليب القرآن الكريم ضرب الأمثال لماله من تأثير فى النفوس وتقريب للفكرة وتوضيح للمعنى المراد ۔ ومن الأمثلة الكثيرة لهذا الأسلوب:

"مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضٰعف لمن يشاء والله واسع عليم"[11]

والمثل المضروب فى هذه الآية يبين مسالة مضاعفة الأجور ويصورها بصورة حسية مشاهدة تعرض الأضعاف كأنها حاضرة بين يدى الناظر وذلك عندما صور الذين ينفقون أموالهم لمثل زارع زرع فى الأرض حبة فأ نبتت الحبة سبع سنابل ، كل سنبلة تحمل مائة حبة ، فشبه المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر ، فيعطيه الله بكل صدقة له سبعمائة حسنة[12]

ففى الآية حث عظيم من الله تعالىٰ لعباده على الأنفاق فى سبيله ۔

الحث على الإنفاق بذكر القصص:

أورد ھٰھنا فقط قصة واحدة لتوضيح النكتة وھى قصة الإخوان الذين ذكروا فى القراٰن الكريم ، "أصحب الجنة" ووردت القصة فى سورة القلم من الآية رقم إلى ۳۳ و ملخص القصة كما ذكرت فى كتب التفسير أنها عن قوم كانت لأبيهم جنة وكان يأخذ منها قوته ويتصدق بالباقى على الفقراء ، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن اولو عيال، فحلفوا اليقطعن ثمرها فى الصباح الباكر قبل انتشار الفقراء ولم يستثنوا فى يمينهم ،فأحرق الله جنتهم وهم نائمون، فصارت كالليل المظلم سوادا أو كالصبح أرضا بيضاء بلا شجر، وهلك ثمرها، وأما أصحابها فنادى بعضهم بعضا عند الصباح أن بكروا على بستانكم ،ان كنتم قائمين على عزمكم المبيت ليلاً،

فانطلقوا وهم يستارون فيما بينهم لئلا يشعرا المساكين بخروجهم فيرا فقونهم كعادتهم كل عام ، وعزموا على حرمان الفقراء من نصيب تعودوا عليه فى كل موسم، فلما وصلوا ورأوا جنتهم محترقة ظنوا فيه بداية الأمر أنهم قد ضلو الطريق بسبب خروجهم قبل طلوع الشمس ووضوح الرؤية فقالوا فى البدية لقد ضللنا عن جنتنا وما هى بها، ذلك لما رأوا من هلاكها، فلما تأملوا وعرفوا أنها هى قالوا: بل حقيقة الحال أننا حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا وكان أحدهم ينهاهم عن أفكارهم السيئة ويقول لهم حين عزموا على ذلك اذكرو الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الفاسدة ولكن أبوا عن قبول رأية والآن بعد ما شاهدوا عقوبة عزمهم الفاسد اعترفوا جميعا بأنهم تجاوزوا الحد بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء وتوجهوا إلى الله أن يقبل توبتهم وأن يبدلهم

خیرا من جنتهم و یعفو عن خطئهم و یتجاوز عن معاصیهم و کفرانهم ۔

هذه القصة القرانیة تعالج مسئلة البخل و بیان عاقبته و تحث بأبلغ الصورة علی الإنفاق فی سبیل الله

(ii) ۔ أهمیة الإنفاق فی ضوء السنة النبویة علی صاحبها الصلوة والسلام

تناول موضوع الإنفاق فی سبیل الله أهمیة کبیرة فی السنة و بین صاحب السنة علیه السلام ضرورة الإنفاق و حث المسلمین علی المبادرة فیه ور غبهم علیه بذکر أجره وحسن عاقبته عندالله تعالیٰ کما نهاهم عن الشخ والبخل ووصاهم بالا بتعادو التجنب عن عدم الإمساك بل إنه کان یقول فی دعائه کثیراً کما یروری أنس بن مالك رضی الله عنه ۔

" کنت أخدم رسول الله ﷺ کلما نزل، فکنت أسمعه یکثر أن یقول : اللهم انی أعوذبك من الهم والحزن والعجز والکسل والبخل والجبن وضلع الدین وغلبة الرجال ۔ ۔ ۔"[13]

فاستعاذ النبی ﷺ عن البخل المانع عن الإنفاق فی سبیل الله یستجنب منه المؤمن ویتعود نفسه علی البذل فی أمور الخیر ویساعد فی ترفیه المجتمع البشری ویصونه عن الفقر المنسی ۔

ولماندرس متون الحدیث النبوی ومصادره نجدها مشحونة بالأحادیث والآثار التی تدل علی فضیلة الإنفاق فی أسالیب متنوعة و صورشتی ۔ منها حدیث الظل لذی وعد فیه ﷺ رجلا تصدق بصدقة فأخفا ها حتی لاتعلم شماله ماتنفق یمینه بظل الله عزوجل یوم لا ظل إلا ظله[14] وذکر دعاء الملئکة للمنفق قائلاً:

" مامن یوم یصبح العبادفیه إلا ملکان ینز لان فیقول أحد هما: اللهم اعط منفقا خلفاً ویقول الأخر : اللهم اعط مسکا تلفا"[15]

ففیه البشارة العظمیٰ ودعوة مستجابة للذی یتصدق و ینفق ماله فی سبیل الله وأحیاناً یضرب رسول الله ﷺ مثلاً للترغیب فی الإنفاق والصدقة، منها حدیث أبی هریرة ؓ ۔

" وقال ضرب رسول الله ﷺ مثل البخیل والمتصدق کمثل رجلین علیهما جنتان من حدید قد اضطرت أیدیهما إلی ثدیهما وتر ا قیهما فجعل المتصدق کلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتی تغشی أنامله و تعفو أ ثره وجعل البخیل کلما هم بصدقة قلعت وأخذت کل حلقة مکانها قال فأنا رأیت رسول الله ﷺ بإصبعه فی جیبه فلو رأیته یوسعها ولا توسع"[16]

بین النبی ﷺ فی هذا الحدیث أن المنفق عندما ینفق فی أمور الخیر ینصره الله ویوسع قلبه ویشرحه بنور الطمانینة وحال البخیل خلافه عندما أراد البذل فی سبیل الله ضاق صدره واضطرب

نفسه وما استطاع الإنفاق۔

ولإزدیاڈ الحث علی الإنفاق شبه النبی ﷺ الرجل الذی یجاول ویسعی لاهتمام الفقراء وذوی الحاجة من الأرامل والمساکین بالمجاهد الذی یضحی نفسه فی سبیل الله والعابد الذی یشغل وقته للصلوٰة والصوم والقراءة۔ فقال ﷺ:

"الساعی علی الأرملة والمسکین کالمجاهد فی سبیل الله أو کالذی یصوم النهار ویقوم اللیل"[17]

نکتفی بذکر هذه الأحادیث الخمسة فقط مجتنبا عن الإطناب والتطویل وإلیك خلاصة تلك الأحادیث بصورة نکات تالیة:

۱۔ کان النبی ﷺ یتعوذ کثیرا عن البخل۔

۲۔ بشارة ظل الله تعالیٰ یوم القیمة للمتصدق المسر للصدقة۔

۳۔ دعاء الملٰئکة کل صبح بالخلف للمنفق فی سبیل الله۔

۴۔ ینصر المنفق الجواد من قبل الله تعالیٰ بشرح الصدر۔

۵۔ البخیل لا یستطیع الإنفاق وإن حاول۔

۶۔ الإنفاق لا یختص بالمال فقط بل یمکن بتوفیر الوقت والجهد۔

۷۔ تسویة الأجر بین المجاهد والساعی علی الأرملة والمسکین۔

المبحث الثانی:

النظائر والأمثلة للإنفاق وفقا لحاجات المجتمع من السیرة النبویة

السیرة النبویة علی صاحبها الصلوة والسلام هی قدوة کاملة وأسوة حسنة للبشریة لأنها تمثل الأنموذج الأعلی لجمیع أفراد البشریة عامة و تجسد الحقیقة الإسلامیة فی مجموعها خاصة للمسلمین لکونها شاملة لکل النواحی الإنسانیة والاجتماعیة التی توجد فی الإنسان من حیث أنه فرد مستقل بذاته أو من حیث أنه عضو فعال فی المجتمع۔ ولذلك ذکر علماء السیرة فی أهداف دراسة السیرة وأغراضها الرئیسی:

"أن یجد الإنسان بین یدیه صورة للمثل الأعلی فی کل شان من شؤون الحیاة الفاضلة کی یجعل منها دستورا یتمسك به ویسیره علیه، ولا ریب أن الانسان مهما بحث عن مثل أعلی فی ناحیة من نواحی الحیاة فإنه واجد کل ذلك فی حیاة رسول الله ﷺ أعظم ما یکون من الوضوح والکمال ولذا جعله الله قدوة للإنسانیة کلها إذ قال: (لقد کان لکم فی رسول الله أسوة حسنة)

ولما ندرس السيرة النبوية للبحث عن ملامح المواساة والمساعدة للبائسين والإعانة لذوى الحاجة نجد أمامنا صورة مشرقة لجميع هذه المعانى على أحسن مايكون من البذل والإنفاق لسد حاجات المجتمع ولانقاذ أفراد هامن الجوع والعطش ولتوفير الحاجيات البشرية إليها ۔ وهذه هى أم المؤمنين خديجة ؓ تخبرنا عن السيرة النبوية قبل البعث قائلة وتسلية اللنبى ﷺ عندما نزل إليه الوحى أولاً:

" كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق۔۔۔[18]

ففيه دلالة واضحة للإنفاق والبذل فى أمور الخير ليس المال فقط بل كل المواهب من توفير الوقت والجهد يجب أن ينفق وفقا لما جات المجتمع وشرح قول الخديجة رضى الله عنها ابن حجر فى أحسن صوره

" ثم استدلت على ما أقسمت عليه من نفى ذلك أبداً بأمرا استقرائى وصفته بأصول مكارم الأخلاق ، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب وإما بالبدن أو بالمال ، وإما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به"[19]

فحسب رأى العلامة العسقلانى أصول مكارم الأخلاق هى الأمور الخمسه :

۱۔ صلة الرحم

۲۔ كسب المعدوم

۳۔ جمل الكل

۴۔ قرى الضيف

۵۔ الإعانة على نوائب الحق

فظهر من هذا الحديث أن الإنفاق والبذل فى أمور الخير بدون الفرق بين القريب والبعيد له مكانة خاصة فى السيرة النبوية ويزيد فضله وتاثيره عندما يكون وفقا لحاجة الفرد والمجتمع وهو مرتبط بضحان ربانى وحفظ لصاحبه من الخذى حسب رأى أم المؤمنين خديجة ؓ ولذلك أقسمت عليه ببصيرتها النافذة التى دفعتها ألى كونها أول من أمنت به ﷺ ۔

وفى هذه الفترة من السيرة نجد أبابكر ؓ ينفق ماله لإعتاق الرقاب المسلمين حتى اتهمه قريش وشهد الله لإخلاصه ورضائه قائلاً ۔

"وما لأحد عنده من نعمة تجزى o إلا أبتغاء وجه ربه الأعلى o ولسوف يرضى"[20]

ففى العصر المكى كان المسلمون فى حاجة ماسة لمثل هذا الإعتاق للحفظ من الهلاك على أيدى الظلمة

من قریش وللنجاة من البلاء والضرر الخطیر المواجه من قبلهم ولما أنفق ابو بکر ماله لهذه الحاجة الماسة فی وقت صحیح مدح الله تعالیٰ فی القرآن الکریم۔

ولا یلزم کون المساعدة والنصرة بالمال فقط بل یکون فی بعض الأحیان بالشرف والجاه أو بطریق الشفاعة الحسنة وخیر نظیر له الحلف الفصول الذی قال عنه ﷺ۔

"لقد شهدت بدار عبد الله بن جدعان حلفاً ﷺ ما أحب أن لی به حمر النعم، ولو دعیت لمثله فی الإسلام لأجبت"[21]

فأخبر النبی ﷺ بهذا القول هدی أهمیة استغاثة الملهوف وإعانة المظلوم فی الإسلام وحیه وإعجابه ﷺ لهذا العمل الخیری کما هو تحریض للمسلمین علی الإتیان بمثله۔

و کذلك لما ندرس أحداث الهجرة ووقائعها کیف ودع المهاجرون مولدهم وأرضهم وجوار بیت الله الحرام صوناً لدینهم و کیف استقبلتهم الأنصار بکل ترمیب و سرور نجدهم قد فهموا معنی الإنفاق والبذل من أعماق قلوبهم بجمیع جوانبه وأرشدهم النبی ﷺ إلی أهمیته بصور مختلفة کما أشار إلیها الغزالی:

ومن هنا شغل رسول الله ﷺ أول مستقبره بالمدینة بوضع الدعائم التی لابد منها لقیام رسالته و تبین معالمها فی الشؤن الآتیة:

۱۔ صلة الأمة بالله

۲۔ صلة الأمة بعضها بالبعض الآخر

۳ صلة الأمة بالأجانب عنها ممن لایدینون دینها"[22]

فالدعامة الثانیة هی التی تتعلق مباشرة بصلب الموضوع لأنها کلما قویت هذه الصلة ازدادت عاطفة المواساة للبائسین ویتمکن المسلم علی الإنفاق والبذل من ماله ومواهبه النفسیة والجسدیة۔ ولتوضیح هذه النکتة رکز النبی ﷺ توجیهاته إلیها فی أول خطبه ألقاها فی المسجد النبوی الشریف:

"أیها الناس، فقدموا لأنفسکم، تعلمن والله لیصعقن أحدکم ثم لیدعن غنمه لیس لها راع، ثم لیقولن له ربه۔ لیس له ترجمان ولا حاجب یحجبه دونه ألم یأتك رسولی فبلغك؟ وأتیتك مالاً وأفضلت علیك؟ فما قدمت لنفسك؟ فینظر یمیناً وشمالاً فلا یری شیئاً، ثم ینظر قدامه فلا یری غیر جهنم، فمن استطاع أن یقی نفسه من النار ولو بشق تمرة فلیفعل، ومن لم یجد فبکلمة طیبة، فإن بها تجزی الحسنة عشر أمثالها إلی سبعمائة ضعف والسلام علیکم وعلی رسول الله"[23]

ففی هذه الخطبة الأولی فی المسجد النبوی حرض المسلمین علی النفاق فی الأعمال الخیریة بدون النظر إلی کمیته أو بغض النظر عن قلته و کثرته و نتیجة لذلك رأینا الصحابة رضوان الله علیهم یساهمون فی الأعمال الخیریة بل یتبادرون إلیها ویسابقون فیها و یشارکون فی ترفیه المجتمع فی المدینة بأشکال عدیدة وطرق مختلفة ۔ ومن مظاهر ها مسابقة الأ نصار عند المواخاة ومبادرة الصحابة فی تزوید الغزاة للجیوش المختلفة وتوفیر الحاجات الأساسیة لأ هل الصفة وغیرهم من الفقراء ۔ ولم یکتفو اببذل الأموال فقط بل تضحو ا جمیع طاقا تهم البشریة فی سبیل الخیر بل تعرضوا للموت فی ساحة القتال والمعارك عندما دعو ا إلیها وصدقو ا ما عاهدوا الله علیه وقضوا نحبه ۔ وهکذا أدوا دور هم البارز فی رفاهیة المجتمع حسب الحاجات المعاصرة و تطلبات العصر ۔

البحث الثالث:

الوقف الخیری ودوره فی رفاهیة المجتمع فی ضوء فقه السیرة

لقد کان للوقف الخیری (Charity Endowment) دوره الکبیر فی التنمیة الشاملة فی المجتمعات الإسلامیة و بخاصة فی النواحی الثقافیة والصحیة والاجتماعیة ۔ قد أسهم الوقف فی تکوین المجتمع الإسلامی المتراحم، ووثق عری النیج فی العصر الحاضر تحتاج بشکل کبیر إلی هذا النوع من الإنفاق لکمال النفع و زیادة التاثیر وهناك فرق کبیر بین الإنفاق العام والوقف الخیری واشار إلیه عمر عبید حسنة فی تقدیم الکتاب أوقاف الرعایة الصحیة فی المجتمع الإسلامی قائلاً:

" ۔۔ إن نظام الوقف یختلف عن سائر موارد التکافل الاجتماعی فی الاسلام من صدقات و زکوات و کفارات و نذور ووصایا و غیر ذلك لأن هذه الموارد فی معظمها تمثل علاجات إغاثیه استهلا کیة ا نیة موقو تة و قد یکون نطا قها فی کثیر من الأ موال فردیا ۔ أما الوقف فهو منذ البدء کان نزوعا إلی بناء النظام المؤسسی التنموی الإنتاجی دائم النفع والعطاء والتاصیل والتأسیس للعملیة التنمویة الاجتماعیة لورجة یمکن معها وصفه بمؤسسة التنمیة المستدامة فی المجالات جمیعا بل لعلنا نقول: إن نظام الوقف بشر وطه وأحکامه و ثمرا ته و مجالا ته یعتبر عملا مؤسسیا فهو مؤسسة المؤسسات جمیعا أو ابو الموسسات جمیعاً"[24]

فحسب رأی الدکتور عمر حسنة الوقف الخیری هو أبو المؤسسات الاجتماعیة و یؤدی دور ابارز افی ترفیه المجتمع من النواحی المختلفة ۔ ولا یخفی علی متأمل ما کان لدور الوقف عبر التاریخ فی التقدم الروحی والمادی کما لا یخفی دوره فی التاثیر علی الحیاة الاجتماعیة والثقافیة التی تشکل الحضارة کما هو فی

التصور الحدیث لھا۔

ولو ننظر إلی تاریخ الوقف نجد أمثالا رائعۃ لہ فی زمن النبی ﷺ وما بعدہ من عصر الصحابۃ والتابعین والأمویین والعباسیین حتی إلی العصر الحاضر۔ أول وقف فی الإسلام کان بعد ھجرۃ الرسول ﷺ وھی الأرض الخاصۃ ببناء مسجدہ، ثم وقف مخیریق رضی اللہ عنہ فی السنۃ الثالثۃ للھجرۃ وکان عبارۃ عن سبعۃ ھوائط کانت لمخیریق الیھودی أحد بنی ثعلبۃ وکان من علماء یھود، أسلم یوم أحد وأوصی أنہ إذا قتل فأموالہ لرسول اللہ ﷺ یضعھا حیث شاء فقتل یوم أحد فقبض رسول اللہ أموالہ وجعلھا صدقۃ فی سبیل اللہ[25] وما زالت کذلك حتی حمل من ثمرھا إلی عمر بن عبدالعزیز أیام خلافتہ۔

نماذج من الوقف الخیری فی أبواب البر:

وقف الآبار والعیون:

۱۔ أول ذلك کان بئر رومۃ التی اشتراھا عثمان ؓ

۲۔ لما ماتت أم سعد بن عبادۃ، سأل رسول اللہ ﷺ أی الصدقۃ أفضل؟ قال: الماء فحفر بئرا وقال: ھذہ لأم سعد[26]۔

۳۔ وقف علی ؓ عینا تفجر فی أرضہ الزراعیہ و تصدق بھا علی الفقراء والمساکین وقال: لیصرف اللہ تعالیٰ بھا وجھی عن النار ویصرف النار عن وجھی۔[27]

۴۔ وقف رسول اللہ ﷺ سبع حیطان لہ بالمدینۃ صدقۃ علی بنی عبدالمطلب وبنی ھاشم۔

۵۔ وقف عمر رضی اللہ عنہ ارضا بخیبر و ثمغ وجعلھا صدقۃ۔[28]

ھناك أنواع مختلفۃ من الوقت نذکرھا إجمالا خوفاً من الإطناب:

وقف المدارس

وقف البیمارستانات (المستشفیات)

وقف المکتبات

وقف الرباط

وقف المساجد

وقف الزوایا

وقف الحمامات

وقف السقایات (الأسبلۃ)[29]

وجدت هذه الأنواع عبر التاريخ الإسلامي منذالقرآن الأول إلى اليوم في الأقطار المختلفة من بلدان المسلمين۔

فالدور التنموي الذي اضطلع به الوقف في التاريخ الإسلامي كان شاملا لكثير من مرافق الحياة ولا يزال إلى الان ، فلقد كان يقوم بدور الكثير من الوزارات والمؤسسات اليوم مثل وزارة الصحة ، وزارة التربية والتعليم ، وزارة السياحة ، وزارة الشؤن الا جتماعية وزارة الدفاع وغير ذلك من مؤسسات الخدمة الاجتماعية۔

المبحث الرابع:

حاجات المجتمع المعاصر ودور الوقف الخيري في معالجتها

قدذكرنا سابقا أن الوقف الخيري يعتبر عملا موسسيا وخير الأنواع للإنفاق لكونه شاملا لكثير من مرافق الحياة ويعالج جميع المشاكل الاجتماعية سواء كانت ن الناحية الاقتصادية أوالصحية أوالتعليمية أو الثقافية أو غير ذلك ۔ وحاجات المجتمع البشري تختلف و تتنوع من حين إلى أخر و من بلد إلى أخرى نسرد في هذا المبحث بعضا من مشاريع الخير والبركة التي يتصدى لها المنفقون والمتصدقون من أفراد ومؤسسات وجمعيات خيرية وجعلوا لها أوقافا خاصة حسب القدرات والمتطلبات۔

مشاريع رعاية و كفالة الأسر الفقيرة۔

يمكن الوقف حسب الشروط والأ ركان والمتطلبات المذكورة في كتب الفقه والقانون و تصدق ثمراته وربحه في الأعمال الخيرية الانية :

۱۔ الكفالة النفدية الشهرية أوالدورية ۔

۲۔ بناء مطبخ خيري يقدم الوجبات للأسر الفقيرة۔

۳۔ ترميم منازل الفقراء المتصدعة ۔

۴۔ إدخال السرور على أطفال الفقراء بإهدائهو لعب الأطفال الخالية من المخالفات الشرعية ۔

مشاريع الرعاية الصحية للأيتام والأسر الفقيره۔

۱۔ تقديم المساعدات العلاجية ۔

۲۔ عمل كشف صحي مجاني دوري للفقراء والأيتام ۔

۳۔ الكفالة الدوائية لذوي الأمراض المزمنة مثل السكر ،القلب، وغيرذلك ۔

مشاريع التدريب والتأهيل

١ـ إقامة دورات فى تربيه الأبناء

٢ـ إقامة دورات متنوعة فى مجال اللغات المختلفة والدلبكترونيات والكمبيوتر ـ

٣ـ إقامة دورات فى شتى المجالات للبنات خاصة ـ

مشاريع الرعاية التعليمية والثقافية والاجتماعية ـ

١ـ إقامة المراكز الموسمية

٢ـ إقامة المحاضرات التعليمية والثقافية

مشاريع التمويل الصغيرة للفقراء (إقراض ميسر أو صدقة)

١ـ إعطاء الفقراء بعض أدوات الزراعة كالحراثات والحصادات وخير من ذلك البذور التى تنتج مرة من بعد مرة ـ

٢ـ تجهيز ورش عمل للميكانيكا أو الحوادة أو النجارة أو الألمينوم وتشغيل العمالة المناسبة الفقيرة فيها ـ

٣ـ اعطاء بعض النساء الفقيرات ماكينات خياطة و تطريز لتعمل عليها و تستفيد من دخلها و هذا فقط كالأنموذج وهناك طرق كثيرة غير ذلك ما يمكن معالجة المشاكل الاجتماعية بها من سبيل الوقف ـ

النتائج والتوصيات المقترحة:

وختاماً أود أن أذكر نتائج البحث والتوصيات المقترحة بشكل نقاط تالية :

الإنفاق فى سبيل الله نوع من أنواع الجهاد و تجارة مع الله سبحنه وتعالىٰ ـ

حثت الشريعة الإسلامية على الإنفاق بصور شتى ـ

السيرة النبوية خير مثال للإنفاق فى سبيل الله وللمنفقين والمتصدقين ـ

يحسن أن يكون الإنفاق وفقا لمتطلبات العصر وحاجات المجتمع ـ

يجب على المسلمين أن يكونوا على بصيرة وخبرة عن حاجات المجتمع ومتطلباته ـ

يلزم على المتصدقين ألا جتناب عن البذل فى أمور و أشياء غير مفيدة ـ

الوقف هو خير طرق الإنفاق فى سبيل الله وأكر فائدة للواقف والموقوف عليه ـ

لابد للعلماء والأساتذة والمتخصصين إرشاد المجتمع وهدايته إلى الوقف و تزويده للأمور الأساسية والمهمة له ـ

فی هذه الأيام المجتمع الباكستانی فی حاجة ملحة للأوقاف الخيرية ۔ وهی طريقه مفيدة لترفيه المجتمع۔

المؤتمرات العلمية والندوات الإعلامية خير سبيل لترويج الوقف فی المجتمع

سبحن ربك رب العزة عما يصفون وسلم علی المرسلين والحمد الله رب العلمين۔

الهوامش

1. الهيثمی، علی بن ابو بكر، مجمع الزوائد، بيروت، دار الفكر، رقم الحديث: 13554، 8:305
2. البقرة,2: 177
3. البقرة,2:190
4. عبدالله سليمان مصطفیٰ، الإنفاق ونظائره فی القرآن الكريم، (دراسة موضوعية) رسالة الماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية ۔ غزة، فلسطين، 2006ء، :20
5. البقرة2:.190
6. البخاری، محمد بن اسمعيل، الجامع الصحيح، بيروت، لبنان، دارا ابن كثير، ط3، 1407ھ، تحقيق: د ۔ مصطفیٰ ديب البغا، رقم الحديث: 4244
7. الشوكانی، محمد بن علی، فتح القدير، 1:206
8. سيد قطب، فی ظلال القرآن، 1:166
9. البقرة,,2: 245
10. ابن عجيبة، إحمد بن محمد، البحر الحديد فی تفسير القرآن المجيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1433ھ، 1:200
11. البقرة,2:261
12. القرطبی، محمد بن أحمد، الجامع لأضكام القرآن، القاهرة، دار الكتب المعرية، المجلد الثانی، 3:229
13. البخاری، محمد بن اسمعيل، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6002، 5:2340
14. المصدر السابق، رقم الهديث: 1423
15. المصدر السابق، رقم الهديث: 1442
16. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، دار احياء التراث العربی، تعليق: محمد فؤاد عبدالباقی رقم الحديث: 1021، 2:708

17. البخاری، الجامع الصحیح رقم الحدیث: 2237:2,5660
18. البوطی، د۔ محمد سعید رمضان، فقه السیرة النبویة، بیروت، لبنان دار الفکر المعاصر، :10
19. البخاری، محمد بن اسمعیل، الجامع الصحیح، رقم الحدیث: 22:1
20. العسقلانی، احمد بن علی، فتح الباری، دار الفکر، 24:1
21. اللیل، 92: 19۔21
22. زید بن عبد الکریم الزید، فقه السیرة، الریاض، دار التدمریة، 1428ھ، 80
23. محمد الغزالی، فقه السیرة، 144 www.daawa.info.net
24. المصدر السابق، 115
25. أحمد عوف عبد الرحمن أوقاف الرعایة الحیة فی المجتمع الاسلامی، قطر، کتاب الأمة تقدیم الکتاب، 8
26. السهیلی، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف، بیروت، لبنان، دار احیاء التراث العربی، ط: 1421ھ، 206:4
27. ابو داؤد، سلیمان بن الأشعث، سنن ابی داؤد، بیروت، دار الکتاب العربی، رقم الحدیث: 1683
28. البهقی، أحمد بن الحسین، السنن الکبری، مکة المکرمة، مکتبة دار الباز، 1414ھ، رقم الحدیث: 11677
29. المصدر السابق نفسه، رقم الحدیث: 11673، وانظر التفصیل وللمزید من الأمثلة: کتاب الوقف فی السنن الکبری للبیهقی، رقم الحدیث: 11666، إلی 11681